٥- بَابُ تَفْسِيْرِ التَّوْحِيْدِ وَشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى {أُوْلَئِكَ الَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ يَبْتَغُوْنَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيْلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُوْنَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُوْنَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوْرًا} (الإِسْرَاء:٥٧).
وَقَوْلُهُ تَعَالَى {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيْمُ لِأَبِيْهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُوْنَ، إِلَّا الَّذِيْ فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِيْنِ، وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُوْنَ} (الزُّخْرُف:٢٨).
وَقَوْلُهُ تَعَالَى {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُوْنِ اللهِ} (التَّوْبَة:٣١).
وَقَوْلُهُ تَعَالَى {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُوْنِ اللهِ أَندَادًا يُحِبُّوْنَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِيْنَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} (البَقَرَة:١٦٥).
وَفِي الصَّحِيْحِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أَنَّه قَالَ: (مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُوْنِ اللهِ؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ). ([1])وَشَرْحُ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ مَا بَعْدَهَا مِنَ الأَبْوَابِ.

فِيْهِ أَكْبَرُ المَسَائِلِ وَأَهَمُّهَا: وَهِيَ تَفْسِيْرُ التَّوْحِيْدِ، وَتَفْسِيْرُ الشَّهَادَةِ، وَبيَّنَهَا بِأُمُوْرٍ وَاضِحَةٍ.
مِنْهَا: آيَةُ الإِسْرَاءِ، بَيَّنَ فِيْهَا الرَّدَّ عَلَى المُشْرِكِيْنَ الَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ الصَّالِحِيْنَ، فَفِيْهَا بَيَانُ أَنَّ هَذَا هُوَ الشِّرْكُ الأَكْبَرُ.
وَمِنْهَا: آيَةُ بَرَاءَة، بَيَّنَ فِيْهَا أَنَّ أَهْلَ الكِتَابِ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُم وَرُهْبَانَهُم أَرْبَابًا مِنْ دُوْنِ اللهِ، وَبَيَّنَ أَنَّهُم لَمْ يُؤْمَرُوا إِلَّا بِأَنْ يَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا، مَعَ أَنَّ تَفْسِيْرَهَا الَّذِيْ لَا إِشْكَالَ فِيْهِ: طَاعَةُ العُلَمَاءِ وَالعُبَّادِ فِي المَعْصِيَةِ، لَا دُعَائُهُم إِيَّاهُم.
وَمِنْهَا قَوْلُ الخَلِيْلِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لِلكُفَّارِ {إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُوْنَ، إِلَّا الَّذِيْ فَطَرَنِي} فَاسْتَثْنَى مِنَ المَعْبُوْدِيْنَ رَبَّهُ، وَذَكَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ هَذِهِ البَرَاءَةَ وَهَذِهِ المُوَالَاةَ: هِيَ تَفْسِيْرُ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا اللهُ. فَقَالَ: {وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُوْنَ}.
وَمِنْهَا: آيَةُ البَقَرَةِ: فِي الكُفَّارِ الَّذِيْنَ قَالَ اللهُ فِيْهِم: {وَمَا هُمْ بِخَارِجِيْنَ مِنَ النَّارِ} ذَكَرَ أَنَّهُم يُحِبُّوْنَ أَنْدَادَهُم كَحُبِّ اللهِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُم يُحِبُّوْنَ اللهَ حُبًّا عَظِيْمًا، وَلَمْ يُدْخِلْهُم فِي الإِسْلَامِ، فَكَيْفَ بِمَنْ أَحَبَّ النِّدَّ أَكْبَرَ مِنْ حُبِّ اللهِ؟! فَكَيْفَ بِمَنْ لَمْ يُحِبَّ إِلَّا النِّدَّ وَحْدَهُ وَلَمْ يُحِبَّ اللهَ؟!.
وَمِنْهَا قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُوْنِ اللهِ؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ) وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يُبَيِّنُ مَعْنَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) فَإِنَّهُ لَمْ يَجْعَلِ التَّلَفُّظَ بِهَا عَاصِمًا لِلدَّمِ وَالمَالِ، بَلْ وَلَا مَعْرِفَةَ مَعْنَاهَا مَعَ لَفْظِهَا، بَلْ وَلَا الإِقْرَارَ بِذَلِكَ، بَلْ وَلَا كَوْنَهُ لَا يَدْعُوْ إِلَّا اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، بَلْ لَا يَحْرُمُ مَالُهُ وَدَمُهُ حَتَّى يُضِيْفَ إِلَى ذَلِكَ الكُفْرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُوْنِ اللهِ، فَإِنْ شَكَّ أَوْ تَوَقَّفَ لَمْ يَحْرُمْ مَالُهُ

[1]) رواه مسلم برقم ٣٧ - (٢٣)

وَدَمُهُ. فَيَالَهَا مِنْ مَسْأَلَةٍ مَا أَعْظَمَهَا وَأَجَلَّهَا، وَيَالَهُ مِنْ بَيَانٍ مَا أَوْضَحَهُ، وَحُجَّةٍ مَا أَقْطَعَهَا لِلْمُنَازِعِ.

الشرح:
هذا الباب أتى به المؤلف - رحمه الله تعالى - بعدما بَيَّنَ وجوب التوحيد وفضله وفضل من حققه ؛ ثم تكلم على الخوف من الشرك وكذلك الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، و إلى هذا التوحيد الذي اعتقده ، وقبل أن يدخل في شرح التوحيد بالتفصيل فعقد هذا الباب ليقول لك : ما هو هذا التوحيد الذي سيتكلم عليه بالتفصيل ، وما تفسير التوحيد ، وما تفسير شهادة « أنْ لا إله إلا الله » ؟ وهذا الباب كما قال هو في آخر ه : شرحه ما يأتي بعده من أبواب هذا الكتاب المبارك ، بمعنى أن شرح هذا الباب ما سيأتي بالتفصيل من الكلام على التوحيد وضد التوحيد وهو الشرك بأنواعه الأكبر والأصغر والشرك الخفي .
وفي هذا الباب تكلم فيه المؤلف على بعض أفراد التوحيد التي يكثر فيها الخلل ، وأعظم ما تكلم عليه المؤلف في هذا الباب قضية البراء مما يعبد من دون الله ، وأنَّ الإيمان بالله لابد فيه من الكفر بما يعبد من دون الله سبحانه وتعالى ، أي الكفر بالطاغوت . وهذه المسألة من أشكل المسائل التي مرَّت بالناس ولازالت تمر بالناس وهي أنَّ كثيرًا من الناس يدخل في التوحيد أو الإيمان أو الإسلام ولا يعرف أنَّه لابد أن يكفر بكل ما عُبد من دون الله ويتبرأ من كل ما عُبد من دون الله ويجمع إلى ذلك البغض والمعاداة والكفر ، فيَكْفُر بكل ما عُبِد منْ دون الله ويبغَض كل ما عُبِد من دون الله ويُظهر ويُعلن هذه البراءة .
ومن يتأمل في أحوال الناس وفى واقعنا يجد أنَّ هذه المسألة تكاد تكون خفية جدًا في حياة الناس ، فقد تجد من يقول لك : أنا أؤمن بالله ولا أعبد سواه لكنْ لا أعترف أنَّ دين النصارى دين باطل ، ولا أعترف أنَّ دين اليهود دينُ باطل بل أقول : الله أعلم بحالهم فقد يكونون على حق وقد يكونون على باطل !! وبعضهم يقول : الجميع على أساس واحد ، لأنهم يقولون : لا إله إلا الله ، ويعبدون الله جل وعلا ، فلا أستطيع أن أُكَفِّرَهم ولا أنْ أعتقد بطلان ديانتهم وما هم عليه ، حتى إنه في أحداث الصين والزلزال الذي هزَّ بلاد الصين قرأت مقالات عجيبة لبعض الناس أنهم يَتَرحَّمُون عليهم وينتقدون من يقول بأنَّ هذا انتقام من الله جل وعلا وأنَّ هذا دليل على انتقام الجبار ، وأنَّ الزلازل من الآيات التي ذُكرت في الأحاديث وتكلم فيها السلف ، بل إنني وجدت من يدعو للصينيين وكذلك يدعو لليهود والنصارى بنفس هذا اللفظ يقول : اللهم ارحم هؤلاء وأرحم إخواننا من اليهود والنصارى إلى آخر ذلك !! فهذه أشياء عجيبة و الذي أدى إليها هو عدم وجود تأصيل عقائدي واضح في أذْهَان الكثير من الناس ، فقيام العقائد على مجرد

العواطف أمرٌ فيه خطورة يؤدي إلى اهتزاز لهذه العقائد في قلوب الناس لمجرد أي هزة ، فهذه المسألة مسألة غَابت أو خَفيت وقلَّ فيها علم الكثير من المسلمين وهي قضية أنَّ الإيمان بالله لابد فيه من البراءة مما يُعبد من دون الله ، والبراءة هذه معناها البغض لتلك المعبودات ولتلك العبادات وللعابدين ، يعني البراءة من ثلاث أشياء :

١- من هذه العبادة التي يعبدوها اليهود أو النصارى أو الوثنيون أو نحو هؤلاء ،

٢- والبراءة ممن يعبَدون من دون الله إذا لم يكن هؤلاء المعبودين ملائكة أوأنبياء أو كان هؤلاء لم يرضوا بالعبادة .

٣- وكذلك البراءة من العابدين من الذين يَعبُدون تلك المعبودات الباطلة .

وهذا الكلام ستجده عمليًا إذا ذهبت إلى أي دولة من دول الكفر ، فمن ذهب إلى أوروبا أو أمريكا أو إلى تلك البلاد الشرق أسيوية سيجد أنَّ هذا الكلام له حظٌ كبير من الواقع ويجد أنَّ هذه المسألة تكادُ تكون مُغَيَّبة عن أذهان كثير من المسلمين في تلك الأماكن بل يحصل هناك المداهنة فضلاً عن المداراة والذلة والخضوع لأديان هؤلاء بل إنَّ بعض المسلمين يستحي أن يُظْهِر دينه بين هؤلاء ، فعلى كل حال هذه أحد الأمور التي أراد المؤلف أنْ يَتكلم عليها في هذا الباب وأضاف إليها بعض الأمور الأخرى ، وقد تكلم في هذا الباب عن شرك الطاعة وسيأتي الكلام فيه بالتفصيل وكذلك مسألة الشفاعة ، أي طلب الشفاعة من الأموات أو من الصالحين أو من الغائبين كالجن والملائكة وكذلك الكلام على شرك المحبة ، كل هذه المسائل تكلم عليها المؤلف رحمه الله في هذا الباب وما شرحه من المسائل بعد ذلك يَدُل على أنه ركَّزَ تركيزًا كبيرًا على مسألة الكفر بالطاغوت وأنَّ الإيمان بالله لابد فيه من الكفر بالطاغوت ، أو الكفر بما يُعبد من دون الله .

قوله :(باب تفسير التوحيد) التفسير معناه : الكشف والإيضاح ، فسَّرَ الشيء أي وَضَّحَه وبَيْنَه ، وتفسير التوحيد أي كشف أمور التوحيد وإيضاحه .

قوله (وشهادةِ) أي تفسير شهادة أنْ لا إله إلا الله ، وقد تكلمنا قبل ذلك عن شروط الشهادة ومعناها ، وأن كلام السلف على أنَّه لابد فيها من عدة أمور :

. معرفة القلب واعتقاده ، ونطق اللسان ، والإعلام والإخبار .

شهد بالشيء أي نطق به عن علم وعن اعتقاد ، وقد يكون فيها معنى الإلزام .

والشهادة تكون شهادة علمية كشهادتك مثلاً على أمورِ الغيب وما تؤمن به من الغيب مما لم تره بعينيك فهذه شهادة علمية قامت عن خبرٍ يقين ، وقد تكون الشهادة عن رؤية وبصر كأن تشاهد الهلال مثلاً فتُخبر به وتشهد عند القاضي أو عند الحاكم بأنَّك رأيت الهلال ، فالشهادة تنقسم إلى هذين القسمين .

الدليل الأول :

قال : وقول الله جل وعلا : { أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً } [الإسراء :٥٧] .

هذه الآية فيها رد على الذين يتعلَّقُون بالصالحين والغائبين والأموات من دون الله جل وعلا ويقولون : نحن نرجوا منهم الشفاعة وأنْ يقربونا إلى الله زلفى ، ومسألة التعلق بالصالحين كانت أحد أسس الشرك الكبرى على مدار القرون ، ولا يخفى أنَّ أول ما حدث في قوم نوح عليه السلام كان بسبب ذلك ، فربُنا جل وعلا يقول قبل هذه الآية :{ **قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً** } **[الإسراء :٥٦]** أى قل لهم يا محمد ادعوا هؤلاء الذين زعمتم أنَّهم ينفعُونكم أو يضرُونكم من دون الله ، فإنَّ هؤلاء الذين تدعونهم لا يملكون ولا يستطيعون كشف الضر الذي ينزل بكم ولا تحويل هذا الضر من مكانٍ إلى مكان ، لا في صفته ولا في قدره ، فإذا كانَ كبير لا يستطيعون أنْ يجعلونه صغيرًا ولا يستطيعون أن يغيروا كميته أو قدره ، فلا يملك ذلك إلا الله عز وجل ، ثم قال : { **أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ** } أي هؤلاء الذين يدعونهم المشركون هم مشغولون بعبادة الله جل وعلا ، والتقرب إليه جل وعلا بأنواع القرب ، فهؤلاء المشركون شَغلوا أنفسهم بأناسٍ مشغولين بعبادة الواحد الأحد .

يقول ابن مسعود رضي الله عنه : " إنَّ هذه الآية **نَزَلَتْ فِي نَفَرٍ مِنَ الْعَرَبِ كَانُوا يَعْبُدُونَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ، فَأَسْلَمَ الْجِنِّيُّونَ وَالْإِنْسُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ لَا يَشْعُرُون** " ([1]) فالمعبودون أسلموا لله، والذين يعبدونهم لازالوا في الشرك وطلب الشفاعة منهم والتوسل بهم إلى اللهِ جل وعلا .

وقال ابن عباس ومجاهد : بأن هذه في عيسى عليه السلام وأمه والملائكة .

أي أن النصارى مشغولون بعبادة عيسى وأمه ، مع أنَّ عيسى عليه السلام وأمه لا يعبُدون إلا الله جلَّ وعلا ، ويوم القيامة يتبرأ من عبادة هؤلاء له تبرءًا صريحاً واضحًا كما قال تعالى في آخر سورة « المائدة » فهؤلاء النصارى مشغولون بعبادة عيسى عليه السلام وأمه والملائكة ، وعيسى عليه السلام وأمه والملائكة مشغولون بعبادة الواحد القهَّار سبحانه وتعالى ، وكذلك قيل أيضًا في عُزَيْرٌ لأنَّ اليهود مشغلون بعبادة عُزَيْرٌ ، وعُزَيْرٌ عبد من عبَاد الله سبحانه وتعالى ، **(أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ)** أي يدعون الصالحين **(يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ)** ، وأصلها يبتغون الوسيلة إلى ربهم ، وقدُم الجار والمجرور هنا لإفادة الحصر والقصر أي لا يبتغون الوسيلة إلا إليه جل وعلا ، والوسيلة معناها القربة والواسطة و من معانيها المنزلة . أي أن هؤلاء يبتغون عند ربهم جلَّ وعلا ما يقربهم من الطاعات ، ويرفعون حاجاتهم إلى ربهم سبحانه وتعالى فلا يرفعون حاجاتهم لغير الله ، فإذا طلبوا شيئًا لا يطلبونه إلا من الله جل وعلا ، و إذا نزل بهم كرب لا يطلبون كشفه إلا من الله جل وعلا . فالوسيلة معناها القربة ، أو الواسطة ، أو المنزلة ، فيطلبون المنزلة العالية عند ربهم . فالصالحون والملائكة والأنبياء كل هؤلاءِ يطلبون الزلفى من الله جل وعلا والقربى منه سبحانه وتعالى بشتى أنواع الطاعات ، وأمَّا الذين يعبدهم المشركون من الأنبياء والملائكة والصالحين فإنَّهم مشغولون بعبادة الواحد الأحد **(أيهم أقرب)** أي من الذي يفوز بالقرب من الله جل وعلا

([1]) رواه مسلم برقم ٣٠ - (٣٠٣٠) .

وبالزلفى إليه جل وعلا ؟ **(وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ)** فجمعت هذه الآية بين هذه المقامات الثلاثة :

المحبة في قوله : **(أَيُّهُمْ أَقْرَبُ)** لأنَّ الذي يدفعهم إلى القرب هو المحبة .

الرجاء في قوله : **(ويرجون رحمته)** .

الخوف في قوله : **(ويخافون عذابه)** .

وهذه مقامات العبودية التي لا تقوم العبودية إلا بها وهى : المحبة ، والرجاء ، والخوف .

فهؤلاء الصالحون من الأنبياء والمرسلين والملائكة مشغولون بتحقيق هذه المقامات الثلاثة المحبة ، والرجاء ، والخوف .

ومن الأمور المهمة في هذا البحث مسألة حصل فيها إشكال وصار فيها كلام كثير وهى مسألة الوسيلة والتوسل ، والتوسل باختصار ينقسم إلى : توسل مشروع ، وتوسل ممنوع .

<u>التوسل المشروع</u> : توسل إلى الله جلَّ وعلا بأسمائه وصفاته ، أو توسل بالأعمال الصالحة ، أو توسل بدعاء الحي ، وهذا البحث سيأتي إن شاء الله تعالى .

<u>التوسل الممنوع</u> : ينقسم إلى صورتين: توسل بدعي ، وتوسل شركي .

الصورة الأولى : **<u>التوسل البدعي</u>** وهو أنْ يدعو الله جل وعلا بجاه فلان أو بحق فلان :كأن يقول الداعى أسألك يا رب بجاه فلان من الناس ، أو بحق فلان من الناس ، وهو توسل بدعي لأنَّ الله جل وعلا لم يشرعه وليس هناك حق عليه جل وعلا إلا ما جعله على نفسه ، والتوسل بجاه فلان أو بحق فلان لم يُؤذن فيه فهو من التوسل البدعي .

الصورة الثانية : وهي التي حصل فيها إشكال وهي تسمى توسلاً وهي في الحقيقة طلب الشفاعة وهي أن يقول : يا فلان اشفع لي عند ربك ، وهذه الصورة يظن بعض الناس أنها صورة من صور التوسل البدعي وليس الشركي ، ولكنها في الحقيقة من صور التوسل الشركي وهي مسألة الشفاعة والاستشفاع ، وهي عين ما كان يفعلُه المشركون من كونهم كانوا يستشفعون بهؤلاء المعبودين عند ربهم جل وعلا ، فيستشفعون بهم ليقربوهم إلى الله جل وعلا زلفى أي قربى .

وقد نبَّه على هذه المسألة أكثر من واحد من أهل العلم منهم الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ([1]) ، فقد صَرَّحَ بأنَّ بعضًا أو كثيرًا من الناس يظُن أنَّ هذا من التوسل البدعي ولكنَّ هذا في الحقيقة من التوسل الشركي واسمه الشفاعة وهي مسألة الشفاعة .

و تكلم عليها شارح « الطحاوية » ابن أبي العز وقال : بأنَّ هذا أصل شرك العرب مسألة الشفاعة . وهي أخطر المسائل وهي التي أحدثت هذا الإشكال الكبير وأوقعت العديد من الناس في الشرك ، وسيأتي لها باب مستقل لكن هذه إشارة نظرًا لخطورتها ، وشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - له كلام في هذه المسألة في موضعين الأول ذكر أنها من المحرمات وهذا الكلام الذي فيه « أنها من المحرمات » لا إشكال

---

[1]) راجع التمهيد شرح كتاب التوحيد للشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله .

فيه فالشرك من المحرمات والبدع من المحرمات ، وسائر المعاصي من المحرمات فكون إمام من الأئمة يقول أنَّ هذا من المحرمات هذا لا ينفى القول بأنها من الشرك الأكبر أو الشرك الصريح ، فعلى كل حال هذه المسألة مهمة وطالب العلم ينبغي أنْ يتأنى فيها ويراجعها ، وسيأتي الكلام عليها بصورة أكثر في باب الشفاعة بإذن الله سبحانه وتعالى .

الدليل الثاني :

• **وقوله : {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي... (٢٧)} الآية [الزخرف :٢٦-٢٧] .**

وقوله فى هذه الاية هو معنى لا إله إلا الله ، حيث جمع فيها بين النفي والإثبات ، فكلمة : « **إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ** » فيها معنى (لا إله) ثم استثنى معبودَه الواحد الأحد فقال : « **إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي** » فهذه معنى (إلا الله) ، فهذه الجملة فيها ركنا كلمة التوحيد : النفي والإثبات ، النفي بقوله :(**إِنَّنِي بَرَاء**) - أي بريء - **(مِّمَّا تَعْبُدُونَ)** فهي تساوي معنى : (لا إله) و (إلا الله) هي معنى قوله : **(إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي)** فتبرأ من جميع المعبودات التي تُعبد بالباطل ثم أثبت العبادة للإله الحق . وهنا تعليل جيد : **(إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي)** أي عِلَّة هذه العبادة أنَّه وحده جلَّ وعلا الخالق البارئ فهذه علَّة هذا الاستثناء ، فكأن سائلًا يقول : لماذا استثنيت الإله الواحد الأحد الفرد الصمد ؟

فالجواب : لأنَّه هو الذي خلق ، وبرأ ، وذرأ وأمدَّ ، وأعطى ، وهدى جل وعلا.

(إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي) فبَيْن عِلَّة وسبب هذا الاستثناء أنَّه يعبد الإله الخالق الواحد البارئ المصور سبحانه وتعالى ، وشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - يقول : أن من أخصُّ أوصاف الرب الخالقية والفاعلية وأنه على كل شئ قدير وأنه غنى عما سواه أي أنَّه الذي يخلق ما يشاء سبحانه وتعالى ، يُوجد ما يشاء وغيره يُقدِّر ولا يستطيع أنْ يخلق شيئًا ، فاستثنى هنا الذي فطره ؛لأن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية أو العبادة ، وتوحيد الألوهية أو العبادة متضمنٌ لتوحيد الربوبية ، هذه الجملة من إبراهيم عليه السلام فيها: أنَّ الإيمان بالله و التوحيد لابد فيه من البراءة مما يُعْبَدُ من دون الله ، والبراءة لابد فيها من بُغض وكُفر ومعاداة أهلها أي أهل تلك الطواغيت وأصحاب تلك الطواغيت .

الدليل الثالث :

• **وقوله : { اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ} الآية [التوبة :٣١] .**

وهذه الآية بعد قوله تعالى :{ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ** } **[التوبة :٣٠]** ثم قال : { **اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ ...**} والأحبار جمع حَبْر والحبر هو العالم ويصح أن تكسر وتقول حِبر ، وحَبر كلاهما صحيح وهو العالم ، وأطلق عليه هذا الاسم لكثرة علمه ، **(اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ)** : أي علماءهم ورهبانهم ، والرهبان جمع راهب وهم العبَّاد ، أي اتخذوا علماءهم و رهبانهم أربابًا والأرباب جمع رَب ، والرَبُّ هو المالك

والسيد والمُتَصَرِّف ، والمراد بالأرباب هنا الآلهة المعبودة ، اتخذوهم آلهة معبودين ؛ فكلمتى : الرب والإله من الكلمات التي إذا اجتمعتا افترقتا ، أي إذا اجتمعتا كالإسلام والإيمان ، والفقير والمسكين ، والرب والإله ، إذا اجتمعتا افترقتا في المعنى ، وإذا افترقتا اجتمعتا . وعليه فالرب هنا المراد به الآلهة المعبودة ، و الدليل على ذلك : الحديث الذي ورد فيه سبب نزول هذه الآية وهو حديث **عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: " يَا عَدِيُّ اطْرَحْ هَذَا الْوَثَنَ مِنْ عُنُقِكَ، فَطَرَحْتُهُ فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ بَرَاءَةَ فَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ} [التوبة: ٣١] حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا، فَقُلْتُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتَسْتَحِلُّونَهُ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ»** (١) فَدلَّ هنا على أنَّهم لم يتخذوهم آلهة ، ولم يعتقدوا أنهم يتصرفون في الكون بالسيادة والأمر والتدبير وإنما تكلم هنا على شرك الطاعة ، و مسألة شرك الطاعة منها تحليل الحرام أو تحريم الحلال وفيها تفصيل .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : هؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله ، وتحريم ما أحلَّ الله على وجهين فهم صنفان :

الصنف الأول : أنْ يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على هذا التبديل مع علمهم أنَّهم خالفوا دين الرسل ، فاتبعوهم على هذا التبديل ، يقول : فهذا كفرٌ .

الصنف الثاني : أن يكون اعتقادهم بتحريم الحرام وتحليل الحلال ثابتًا ، أي هم يعتقدون بأنفسهم أنَّ هذا الحرام هو فعلاً حرام ، وإن كان هؤلاء يغيرونه ، وأنَّ هذا الحلال هو حلال وإنْ كان هؤلاء يغيرونه لكنَّهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصي . فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب) (٢) أهـ .

هذه مسألة مهمة ويقع الخطأ في فهمها عند بعض الناس فلا يفرق بين ما يكون من الطاعة فيه شرك ، وما يكون من الذنوب والمعاصي في التحليل والتحريم ، فلابد من التنبيه للفرق بين المسألتين فالإنسان اذا اتبع أولي الأمر في تحليل الحرام ، وتحريم الحلال وهو يعتقد ويعلم أنَّ هذا فيه تبديل لشرع الله جل وعلا وهذا مخالف لدين الرسل فهذا كفر أكبر ، أمَّا إذا كان يفعل هذا التحليل والتحريم من باب الشهوات أو من باب المعاصي فهذا له حكم أمثاله من أهل الذنوب والمعاصي ، وهذه المسألة مهمة خطيرة قد يكثر فيها الخوض وتكثر الحاجة إليها .

فقوله تعالى : { اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ } المقصود هنا أربابًا أي آلهة معبودين من دون الله ، فنبَّه هنا على الشرك في الطاعة في التحليل والتحريم بتبديل الحلال إلى حرام وتبديل الحرام إلى حلال كما سبق وأطاعوهم في ذلك .

الدليل الرابع :

---

١) رواه الطبراني في المعجم الكبير برقم (٢١٨) ، والترمذي برقم (٣٠٩٥) .

٢) انظر مجوع الفتاوى [ج٧/ص٧١:٧٠] .

وقوله : { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ} الآية [البقرة :١٦٥] .

والأنداد جمع ند ، والند هو الشبيه والنظير .

{ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ } هذه فيها قولان لأهل التفسير :

التفسير الأول : أي أنَّ أهل الشرك يحبون معبُودهم كما يحبون الله جل وعلا فيساوون الله جل وعلا مع آلهتهم في المحبة .

التفسير الثاني : أنَّ هؤلاء المشركين يحبون آلهتهم كحب المؤمنين لربهم سبحانه وتعالى ، **{ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ }** أي أشد حبًا لله من حب المشركين لأصنامهم أو لآلهتهم على أحد التفسيرين ، فهنا شرك المحبة .

(وَمِنَ النَّاسِ) : أي بعض الناس ، والمحبة تنقسم إلى أنواع :

النوع الأول : المحبة الشرعية الواجبة على كل مسلم وهي المحبة في الله ولله ، و محبة الله جل وعلا ، فتحب الأنبياء والمرسلين في الله ، وتحب أخاك المؤمن في الله ، فهذا هو الواجب وهذه هي المحبة الشرعية.

النوع الثاني : المحبة الشركية وهي المحبة مع الله ، يُحب اللهَ جل وعلا ويحبُ معه غيره ويساويه في هذه المحبة ، فقد يكون هذا الغير ميتًا ، وقد يكون ضريحًا وقد يكون قبرًا وقد يكون صنمًا وقد يكون غير ذلك ، فهذه هي المحبة الشركية : المحبة مع الله .

النوع الثالث : محبة عادية طبيعية لا يؤاخذ عليها الإنسان ، فهي من قبيل الجائز أن يحب طعامًا معينًا ، أو شرابًا معيناً ، أو يحب زوجه مثلاً ، أو يحب ابنه ، أو يحب عملاً معينًا فهذه محبة عادية طبيعية ليس فيها إشكال .

{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ } فهنا الكلام على شرك المحبة .

الدليل الخامس :

• في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله حَرُم ماله ودمه ، وحسابُه على الله عز وجل » . ([1])

قال : وفي الصحيح ، هذه الكلمة ستأتي كثيرًا في الكتاب والمؤلف لم يصرح بما يريد ، هل يقصد صحيح البخاري ، أم صحيح مسلم ، أم في الحديث الصحيح ؟ لم يصرح بمراده ،

فماذا نصنع ؟

الجواب : أن كل حديث نبحث عنه على حدة فإذا وجدناه في أحد الصحيحين نقول : قصده في صحيح البخاري أو صحيح مسلم ، وإذا لم يكن فيهما وكان في غيرها يكون قصده في الحديث الصحيح . فهنا الحديث ليس في البخاري وإنما في صحيح مسلم فقصد المؤلف هنا في الصحيح أي في صحيح الإمام مسلم .

([1]) رواه مسلم برقم ٣٧ - (٢٣) .

قوله (في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم) لم يذكر الصحابي بل أسقط ذِكر الصحابي الذي روى هذا الحديث وهذا الحديث رواه مسلم عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه ، وأبو مالك الأشجعي اسمه سعد بن طارق بن أشيم الأشجعي وهو يروي عن أبيه طارق بن أشيم ، وطارق بن أشيم صحابي ، وسعد ابنه تابعي كوفي ثقة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، **أنه قال : « من قال : لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله . . . »** فبعض أهل العلم يُفَرّق بين : من قال لا إله إلا الله ، ومن شهد أن لا إله إلا الله .
يقولون هناك فرق بين مجرد القول والشهادة ، فالشهادة أعم وأشمل من القول ؛لأنَّ القول هو التلفظ فقط والشهادة لابد فيها من اعتقاد ثم تلفظ ونطق ، ثم إخبار وإعلام وقد يكون بها إلزام ، فإنَّ الشهادة أعم وأشمل في تفسير هذه الكلمة .
يقول في الحديث **(من قال : لا إله إلا الله** -أي تلفظ بها - **وكفر بما يُعبد من دون الله ،** [الواو] في قوله **(وكفر)** هل هي عاطفة أم تفسيرية ؟
وهي تحتمل الأمرين :
الأول: لو قلنا أنها تفسيرية فمعناها كفر بما يُعبد من دون الله أي البراءة من الطاغوت وأهله ، وهذا المعنى داخل في كلمة التوحيد ابتداءً ثم فُسِّرَ بعد حرف العطف ، فهو قال كلمة التوحيد وهي متضمنة البراءة من الشرك وأهله ، أو متضمنة الكفر بالطاغوت ،
الثاني : أن يقال بأنها عاطفة تعطف أمرين أحدهما على الآخر ففيها : قول لا إله إلا الله وأيضًا تعطف على هذا القول الكفر بالطاغوت ، أو الكفر بما يُعبد من دون الله ، فتَحَصَّلَ أنه لابد للمسلم من هذين الأمرين أن يقول : لا إله إلا الله وأنْ يكفُر بكل ما يعبد من دون الله سبحانه وتعالى ، فلا يصلح قول من يقول : أنا أقول لا إله إلا الله وأصلي وأصوم فقط ولا أكفر بكل المعبودات من دون الله ، أو أكفر بها في داخلي لكني لا أتلفظ بهذا ولا أصرح بها لأحد !! نقول له : هذا لا يصلح ، فلا يكون العبد مسلمًا أو مؤمنًا إلا بأن يؤمن بالله جل وعلا ويأتي بالتوحيد ثم يُضيف إلى ذلك الكفر بكل ما يُعبد من دون الله صراحة ، فيكفر بكل دينٍ غير دينِ الإسلام ، ويتبرأ من كل دين غير دين الإسلام ، ويبغض كلَ دينٍ غير دين الإسلام ، ويعادي كلَ دينٍ غير دين الإسلام فهذا لابد منه .
« من قال لا إله إلا الله ، وكَفَر بما يُعبد من دون الله حَرُمَ ماله ودمه » هذا هو الأصل لكن قد يحل دمه وقد يحل ماله بأمور أخرى ، كما جاء في الحديث : **" لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ "** ([1]).
• الثيب الزاني . الإنسان الذي وطئ في نكاح صحيح إذا زنى فإنَّه يحل دمه فيُرجم حتى الموت.
• النفس بالنفس . وكذلك الذي يقتل غيره بدون حق فإنَّه يُقتل قصاصًا فيحل دمه عندئذٍ .
• الالمارق من الدين المفارق للجماعة . أي المرتد .

[1]) رواه البخاري برقم (٦٨٧٨) ، ومسلم برقم ٢٥ - (١٦٧٦) .

فهذه ثلاثة أحوال تحل دم المسلم ، هناك أمور أخرى فيها خلاف وتفصيل لأهل العلم .
ثم قال: وشرح هذه الترجمة : ما بعدها من الأبواب .
وذكر المسائل فقال :
فيه أكبر المسائل وأَهَمُّها : وهي تفسيرُ التوحيد ، وتفسير الشهادة : وبَيَّنَها بأمور واضحة .
قال : فيه ـ أي في هذا الباب ـ **أكبر المسائل وأهمها** . فهذا يُبَيْن لك مدى اهتمام المؤلف بهذا الباب وبهذه المسألة وهي مسألة تفسير التوحيد ومعنى شهادة أنْ لا إله إلا الله ، وهي تفسير الشهادة **وبَيَّنَها بأمور واضحة:**
• منها : آية الإسراء بَيْنَّ فيها الرد على المشركين الذين يَدْعُون الصالحينَ ففيها : بيانُ أنَّ هذا هو الشركُ الأكبر .
فهم يَدْعُون الصالحين لكنهم يقولون إننا نتخذهم شفعاء عند الله جلَّ وعلا ، فلا يعتقدون بأنَّ هؤلاء الصالحين خلقوا هذا الكون ، أو خلقوا السموات ، أو الأرض وإنما يعتقدون أنَّهم يشفعون لهم عند الله عز وجل ، أي يُقَرِّبونهم إلى الله جلَّ وعلا قربى أو زلفى فهذا هو أصل شرك العرب ، وهو مسألة اتخاذ الصالحين شفعاء عند الله جلَّ وعلا فمن قال للميت: يا فلان اشفع لي عند الله جلَّ وعلا أو نذر له بقصد أن يشفع له ، أو يطلب منه صراحة أن يشفع له ؛ هذا الطلب هو الدعاء ، وهذا الدعاء طلب ؛ وأيضًا قد اعتقد أنَّ له تصرفًا ، وإلا لو لم يكن يعتقد أنَّ له تصرفًا ما أتاه ولا طلب منه ، لو كان يعتقد أنَّ هذا الميت لا يستطيع أن يجيبه سؤله وأنْ يشفع له وأنْ يطلب من الله جلَّ وعلا ما أتاه .
فهذه مسألة عظيمة يقع فيها الكثير من الجُهَّال يقولون : نحنُ ما أردنا إلا الشفاعة ولا نعتقد أنَّ هذا يخلق أو يرزق ، أو أنَّه يجعل الذَكَرَ في بطن أمه أنثى ، أو الأنثى ذكرًا أو نحو ذلك ، يقولون : ما أردنا إلا الشفاعة . ونقول : أصل الذين عبدوا الأصنام والأحجار ما وصلوا إلى هذا إلا بهذه الشبهة ، فإنَّ قوم نوح عليه السلام جعلوا لأولئك الصالحين في مجالسهم تماثيل وقالوا : إنما نتذكر بهذه التماثيل عبادة أولئك ، ثمَّ جاء بعد ذلك الجيل جيل نُسي فيه العلم فيه ونُسخ ، فقالوا : إنما اتخذ آباؤنا هذه التماثيل وهذه الصور للصالحين ليتخذوهم شفعاء عند الله جلَّ وعلا ، ثم تطورت هذه الشبهة ودخل فيها بعد ذلك الذبح والنذر وسائر أنواع القُرَب ، والتذلل والخضوع لهؤلاء الشفعاء .
فهذه مسألة عظيمة ، فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين ، وفيها بيان أن هذا هو الشرك الأكبر وهذا حكم من المؤلف واضح .وإن كان قد عبر بلفظ **(يدعون الصالحين)** وطلب الشفاعة منهم دعاء كما سبق.
• ومنها : آية براءة ، بَيَّنَ فيها أنَّ أهلَ الكتابِ { اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ} [التوبة :٣١] وبَيَّنَ أَنَّهم لمْ يُؤْمرُوا إلا بأنْ يَعْبُدُوا إلهًا واحدًا ، مع أنَّ تَفْسِيرَها الذي لا إشكال فيه : طاعةُ العلماءِ والعبَّادِ في المعصية ، لا دُعَاؤهم إيَّاهم .

المسألة الثانية : يقول : آية براءة بَيَّنَ فيها أنَّ أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله مع أنهم لم يركعوا لهؤلاء الأحبار والرهبان ، ولم يسجدوا لهم ولم يصلوا لهم ولم يدعوهم وإنما بَيَّن أنهم لم يؤمروا إلا بأنْ يعبدوا إلهاً واحدًا مع أنَّ تفسيرها الذي لا إشكال فيه ، فقال المؤلف لا إشكال فيه لأنَّه ورد فيه نص الحديث ، حديث عدي بن حاتم وهذا الحديث سيأتي له باب مستقل في « باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحلَّ الله أو تحليل ما حرَّم الله » مع أنَّ تفسيرها الذي لا إشكال فيه طاعة العلماء والعبَّاد في المعصية لا دعاؤهم إياهم : والمقصود كما سبق طاعة هؤلاء في التبديل ، تبديل شرع الله جل وعلا وتحريم ما أحل الله ، وتحليل ما حرَّم الله مع معرفة أنَّ هذا مخالف لدين الأنبياء والمرسلين على التفصيل الذي ذكرناه من كلام شيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى .

• ومنها : قول الخليل عليه السلام للكفار { إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي } فاسْتَثْنَى منَ المعبُودِينَ رَبَّه ، وذكر سُبْحَانه أنَّ هذه البراءةِ وهذه الموالاة : هي تفسيرُ شهادة أنْ لا إله إلا الله ، فقال : { وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }

.

فاستثنى من المعبودين الذين يُعبدون في الكون ربه ، وذكرنا في معنى كلمة التوحيد « لا إله إلا الله » أنَّ بعض الناس قدَّر الخبر بموجود : لا إله موجود إلا الله ، وقلنا أنَّ هذا التقدير غير صحيح لأنَّ الآلهة التي تُعبد كثيرة وموجودة ، وهي تعبد بباطل لكنَّها موجودة ، وقلنا بأن التقدير الصحيح للخبر : لا إله بحق إلا الله سبحانه وتعالى.

يقول : فاستثنى من المعبُودين ربَّه ، وذكرَ سبحانَه أنَّ هذه البراءة وهذه الموالاة كما وردت في الآية هي تفسير شهادة أنَّ لا إله إلا الله ، هذا هو مقصد المؤلف من إيراد هذه الآيةِ الكريمة : أنَّ الإيمان بالله والتوحيد لا يَتم إلا بهذه البراءة ، قال : **{ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ } [الزخرف :٢٨]** جعلها كلمة وهي « لا إله إلا الله » ، بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ : فكل نبي أتى من نسل إبراهيم عليه السلام ومن ذريته دعا بهذه الكلمة (في عقبه) فكل الأنبياء الذين أتوا بعد إبراهيم عليه السلام من ذريته ، وكلهم دعا بهذه الكلمة كلمة التوحيد .

• ومنها : آية البقرة في الكفَّار الذين قال الله فيهم : { وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ } ذكر أنهم يُحبُّون أندادهم كحبِّ الله . فَدَلَّ على أَنَّهم يحبُّون الله حبًا عظيمًا ولم يُدخلهم في الإسلام ، فكيف بمن أحبَّ النِّدَّ أكبر من حُبِّ الله ؟ فكيف بمن لم يُحبَّ إلا النِّدَّ وحدَه ؟ ولم يُحب الله ؟ .

يقول المؤلف : ومنها آية البقرة في الكفَّار الذين قال الله فيهم : { وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ } [البقرة : ١٦٧] فذكر أنهم يُحبُّون أندادهم كحب الله فدلَّ على أنهم يحبون الله حبًا عظيمًا ولم يدخلهم في الإسلام ، فكيف بمن أحب النِّدَّ أكبر من حب الله ؟ فبعض الناس تقول لهم : احلف بفلان ، فإن كان كاذب يقول : ما أحلف بفلان ، يخاف أنَّ البدوي أو الدسوقي أو فلان إذا حلف به كاذبًا يضره ، لكنْ إذا قلت له احلف بالله كاذبًا

يحلف ، يحلف مائة يمين عند القاضي كاذبًا بالله جل وعلا ، لكنْ لو قال القاضي له احلف بالبدوي أو احلف بالدسوقي أو الحُسين يهتز ويرتجف ويتراجع عن شهادته .
فإذا كان الله جلَّ وعلا ذكر أنهم يحبُّون أندادهم كحبِّ الله فدلَّ على أنَّهم يحبون الله حبًا عظيمًا ولم يدخلهم ذلك في الإسلام ، فكيف بمن أحبَّ النِّدَّ أكبر من حُبِّ الله ، وكيف بمن خاف النِّدَّ أكبر من خوفه من الله جلَّ وعلا ؟! كمن يخاف من البدوي أو الحُسين أو الدسوقي ونحو ذلك ، فكيف بمنْ لم يُحب إلا النِّدَّ وحده ولم يحب الله ؟ لا يفكَّر في محبة الله جل وعلا في يوم من الأيام.

• ومنها : قولُه صلى الله عليه وسلم : « من قال : لا إله إلا الله وكَفر بما يُعبد من دون الله حرُم ماله ودمه ، وحسابه على الله » . وهذا من أعظم ما يُبَيْن معنى « لا إله إلا الله » فإنَّه لم يجعل التلفظ بها عاصمًا للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل ولا الإقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له ، بل لا يحرُم مالُه ودمه حتى يُضيفَ إلى ذلك الكفرَ بما يُعبد من دون الله ، فإنْ شَكَّ أو توقف لم يحرُم ماله ودمه . فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلّها ، ويا له من بيان ما أوضحه ، وحُجَّة ما أقطعها للمنازع .

وهنا مسألة البراءة من الطاغوت أو من الكفر وأهله ، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصمًا للدم والمال ، لم يجعل مجرد التلفظ بكلمة التوحيد فقط باللسان عاصمة للدم والمال حتى يُضاف إلى ذلك الكفر بالطاغوت ، ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل ولا الإقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له ، بل لا يَحرُم ماله ودمه حتى يُضيفَ إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله ، فإن شك في هذا أو توقف لم يحرم ماله ودمه .
وسبق أن بينا أن : الحاجة إلى هذه المسألة تظهر عندما يُسافر الناس في الأجازات الصيفية إلى بلاد الكفر للفسحة أو للمتعة ، أو الذين يَذْهَبون إلى هناك للإعمال أو التجَارات ، فيستحي المسلم هناك من إظهار إسلامه ، فلا يقدر على أن يقول إنه فلان الفلاني جاء من بلدة إسلامية ومن أبناء بلاد مسلمين ونحو ذلك فيستحي من إظهار الدين وهذا هو الخذلان وأي خذلان أعظم من هذا ، فإنَّ المسلم لابد أن يعتز أولاً بدينه ، ثانيًا: من شروط الذهاب إلى بلاد الكفر إظهار الدين ، تكلم أئمة الدعوة على وجوب إظهار الدين في بلاد الكُفَّار كما فى الدرر السنية [ج/٨] ، فإذا كنت تعلم أنَّك لا تقدر على إظهار الدين بَين الكفار فاجلس في بلادك مهما كانت الظروف ، أما إذا كنت تعلم أنَّ عندك الشروط متوفرة ومنها أن تحافظ على نفسك من ناحية الشبهات ومن ناحية الشهوات ، وأنْ تُظهر دينك فاذهب بالشروط المعروفة التي ذكرها أهل العلم .
يقول الشيخ : **فيا لها من مسألةٍ ما أَعْظَمَها وأَجلَّها** ، مسألة معرفة تفسير معنى شهادة أنْ لا إله إلا الله وأنها تستلزم الأمور المذكورة ونبَّه عليها المؤلف من الطاعة لله جل وعلا ، ومن وجوب إفراده جلَّ وعلا بالدعاء والعبادة والمحبة ، وقضية البراءة من الكفر وأهله ، ويا له من بيان ما أوضحه وحجَّة ما أقطعها للمنازع ، أي في هذه الأدلة التي أوردها المؤلف لأنَّها أدلة واضحة صريحة .والله تعالى أعلم .